Kırıkkale Üniversitesi
Sosyal Bilimler Dergisi (KÜSBD)

ISSN 2146-2879 Kirikkale University Journal of Social Sciences E-ISSN: 2717-6231

Makale Bilgisi/Article Info
Geliş/Received: 18.11.2021 Kabul/Accepted: 26.01.2022
Araştırma Makalesi/Research Article, s./pp. 325-340.

الضمائر دراسة تأصيلية: ضمائر الرفع المنفصلة أنموذجاً

Fadi Aowni Mahmoud ALSHELALDEH[i]

ملخص

يُعد الضـمير من الأدوات الرابطة لأجزاء الكلام في النص، فقد قرر اللغويون أن الضـمير إما أن يعود على اسـم ملفوظٍ به سـابقٍ له، ويعود على لفظ متضـمّنٍ له، فهو يقوم مقام اللفظ الظاهر، فيُغني عن تكراره، فنجده يصـل الجُمَل بعضـها ببعض ايصـالاً مُحكما بما يتضـمنه الكلام، ويحيل ما هو لاحق على ما هو سابق، فيربط آخر الكلام بأوله، وقد استُعمل الضـمير في كلام العرب وخضـع عندهم لقواعد تحكمه وتربطه في سياق الكلام داخل نسيج النص.

يهدف هذا البحث إلى دراسة تطور الضـمائر، فالبحث فيها يكشـف لنا الأسـرار في تطورها عبر العصـور، من حيث تطورها وأصـلها الذي كانت عليه، وكيف نمت وتطورت إلى أن وصلت إلى هذه الصورة التي عليها الآن. فقد قام الباحث بدراسة أصول هذه الضمائر وكيفية تطورها تاريخياً، وتحليل ما قاله النحاة العرب القدماء والمحدثين في بنية هذه الضمائر وصيغها الأساسية في اللغة العربية وأخواتها الساميّات.

فتناول الباحث في هذه الدراسة: مفهوم الضمير في اللغة والاصطلاح، ثم آلية تطور الضمائر المنفصلة من الأقدم إلى الأحدث عبر العصور التاريخية، فكان أولها ضمائر المتكلم، ثم ضمائر الخطاب، ثم ضمائر الغيبة أحدثها.

الكلمات المفتاحية: *الضمائر، الأصل، النحاة، تطور، اللغات السامية.*

Zamirler Üzerine Özel Bir Çalışma: Örnek Olarak Ayrı Zamirler

Öz

Zamir bir metindeki konuşma bölümleri için bir bağlantı aracıdır. Dilbilimciler, zamirin kendisinden önce telaffuz edilen bir isme atıfta bulunabileceğine karar vermişlerdi. Kastettiği lafza döner ve görünen ifadenin yerini alır. Böylece tekrardan kaçınır ve konuşmaların içeriği de dahil olmak üzere cümleleri birbirine bağladığını görürüz. Sonraki gelen öncekine atıfta bulunur ve konuşma kendinden öncekine bağlanır. Arapların sözcüklerinde/cümlelerinde kullanılan zamir, belirlenen kurallara tabidir ve metnin yapısı içerindeki konuşmaya bağlıdır.

Bu araştırma zamirlerin geliştirilmesiyle ilgili bir çalışma hedefliyor ve ayrıca yapılan bu araştırma bize asırlar boyunca gelişimi ve kökeni bakımından zamirlerin gelişim sırlarını ve nasıl büyüyüp geliştiğini ve şimdiki bu haline nasıl ulaştığını ortaya koymaktadır. Araştırmacı, bu zamirlerin kökenlerini ve tarihsel olarak nasıl geliştiğine dair bir çalışma yapmış, eski ve modern Arap gramercilerinin bu zamirlerin yapısı ve Arap dilindeki temel biçimleri ve Sami kardeşleri hakkında söylediklerini analiz etmiştir.

Araştırmacı bu çalışmada şunları ele almıştır: Dil de zamir kavramı ve terimler, daha sonra tarihi asırlar boyunca en eskiden en yeniye ayrı zamirlerin gelişim mekanizması. Bunlardan ilki birinci şahıs zamirleri, daha sonra hitap zamirleri ve en yenileri ise gaib (gizli) zamirler oldu.

Anahtar Kelimeler*: Zamirler, Köken, Dilbilimciler, Gelişme, Sami Dilleri.*

[i] Dr., Filistin,e-posta: shelaldehfadi@gmail.com, ORCID ID: 0000-0001-9682-5581

Pronouns: Native Study: Separate Nominative Pronouns As A Model

Absract

The pronoun is one of the tools that connect the parts of speech in the text. Linguists have decided that the pronoun can either return to a noun pronounced before it, and return to an inclusive pronunciation, so it takes the place of the apparent pronunciation, so it dispenses with its repetition. Speech, and refers what is later to what is previous, linking the last of the speech to the beginning, and the pronoun was used in the speech of the Arabs and subjected to them to rules governing it and linking it in the context of speech within the fabric of the text.

This research aims to study the development of pronouns, researching them reveals to us the secrets of their development over the ages, in terms of their development, their origin, which they were, and how they grew and developed until they reached as they are now. The researcher studied the origins of these pronouns and how they developed historically, and analyzed what ancient and modern Arab grammarians said about the structure of these pronouns and their basic formulas in the Arabic language and its Semitic sisters.

In this study, the researcher dealt with the concept of pronoun in language and idiom, then the mechanism of the development of separate pronouns from the earliest to the most recent through historical eras.

***Keywords**: Pronouns, Origin, Grammarians, Evolution, Semitic Languages.*

مقدّمة

للغة العربية عريقة في القدم، فهي أقدم اللغات الحية، فليس ثمة في العالم لغة محكية أقدم منها، فقد نشـأت وتطورت حتى وصلت إلينا ناضجة في نصوصها الموثوق بصحتها، فهي اللغة الأم التي بقيت من أخواتها الساميات صامدة، وتلتقي مع هذه اللغات البائدة "في خصـائص مشـتركة" منها "كثيرة الأصـول الثلاثية أو المبنية قياسـاً على تلك الأصول، ووجود الزمنين الرئيسين لحدوث الفعل، وتغيّر الدلالة بتغيير حركات الكلمة الداخليّة. وفيما عدا ذلك نلاحظ المشابهة في بناء الموازين الاسميّة والفعليّة، وكذلك اتفاق في صيغ الضمائر وطريقة الاستعمال، هذا إلى بناء صيغ الفعل، والمشابهة الكبيرة نوعاً ما في تركيب الكلام وبناء الجمل وكثرة المترادفات المشتركة بين هذه اللغات".(عمايرة،١٩٨٧م، ص ١٠).

ويهدف البحث إلى دراسة تطور الضمائر، فالبحث فيها يكشف لنا عن أسرار عجيبة تذهل الدارس، من حيث تطورها وأصلها الذي كانت عليه، وكيف نمت وتطورت إلى أن وصلت إلى هذه الصورة التي عليها. فدرس الباحث أصول هذه الضمائر وتطورها ضمن المراحل التاريخية التي مّرت بها، وما قاله النحاة العرب القدماء والمحدثين في بنية هذه الضمائر وصيغها الأساسية في اللغة العربية وأخواتها الساميّات.

فجاء البحث مشتملاً على أربعة أقسام: تناولت فيها مفهوم الضمير لغة واصطلاحاً، ثم تطور الضمائر المنفصلة، درستها حسب الأقدم إلى الأحدث، فكان أولها ضمائر المتكلم، ثم ضمائر الخطاب، وضمائر الغيبة أحدثها.

أولاً: مفهوم الضمير:

١,١ **الضمير لغة:** الضمير في اللغة مشتق من المادة المعجمية (ضَمَرَ) والفعْلُ: ضَمَرَ يضْمُرُ ضُمُوراً فهو ضَامِر، نقول: أضمرة أي أخفاه، وما يضمر الإنسان قلبه: ما يخفيه، والضّميرُ: الشيءُ الذي تُضمِرُه في ضَمِيْرِ قلبك.(الفراهيدي،٢٠٠٣ ٢٤/٣)، فهو يعني المستور، فعيل بمعنى مفعول، أطلق على العقل لكونه مستوراً عن الحواس.(الكفوي،١٩٨٢،١٣٥/٣).

١,٢ الضمير اصطلاحاً: هو الاسم المتضمن للإشارة إلى المتكلم أو المخاطب أو الغائب بعد سبق ذكره لفظاً أو تقديراً أو معنىً أو حكماً.(باشا،٢٠٠٢، ص١٧٠) يقول السهيلي: "اعلم أنّ الكلام صفة قائمة في نفس المتكلم يعّبر للمخاطب عنه بلفظ

أو لحظ أو بخط، ولولا المخاطب ما احتيج إلى التعبير عمّا في نفس المتكلّم، فإذا تقدم في الكلام اســـم ظاهر ثم أُعيد ذكرهُ، فإذا أضمره في نفسه أي: أخفاه، دلَّ المخاطب عليه بلفظة مصطلح عليها سُمّيت تلك اللفظة اسماً مضمراً؛ لأنها عبارة عن الاسم الذي أُضمر استغناءً عن لفظة الظاهر". (السهيلي،(د.ط)، ص٢١٨) والضمير أو المضمر اصطلاح بصري، أمّا الكوفيون فيستعملون المصطلح "كناية" أو "مكني". ولا فرق في المعنى بين الضمير والمكني أو الكناية عند الكوفيين. فهي من قبيل الأسماء المترادفة عندهم، والعلاقة بينها علاقة بين متكافئين. أمّا البصـــريون فمدلول الكتابة أو المكنى أعمّ عندهم من مدلول الضمير، فكل مضمر مكني، ولكن ليس كل مكني مضمراً. (الشايب،١٩٨٧، ص١٢).

وتعد الضمائر من أقدم المفردات اللغوية، فهي تنسب إلى أساس لغوي يصعب تحديده تماماً، وربما كانت آتية من اللغة الانفعالية: لغة النداء والندبة: كالتعجب والكلمات الاشارية وخاصة الضمائر الاشارية. وعتقها أو قدمها هذا هو الذي أبقى عليها خارج النظام الثابت للأسماء والأفعال، كما أنه جعلها تمر في تاريخ حياتها الطويل بمراحل كثيرة من التطور، انتهى بها الأمر إلى أن أصبحت مجرد دوال نسبة، وليس ثمة شك في أن دوال النسبة هذه آتيه في الأصل من كلمات مليئة، كانت لها في اللغة دلالة مشخصة.(الشايب،١٩٨٧، ص١٢).

ولعلنا نخالف ما ذهب إليه فوزي حسن الشايب في نسبة الضمائر إلى اللغة الإنفعالية، فهي أثّرت في تطور بعض الضمائر، ولكنها ليست الأساس في توليد الضمائر وتطورها.

وتختلف الضمائر عن الأسماء في بنائها وفي تكوينها من عناصر مختلفة وفي صيغها المختلفة المستخدمة في الرفع والنصب والجر، وفي صيغها المستخدمة في الإفراد والتثنية وفي الجمع وفي التذكير والتأنيث فصيغها المستخدمة في المفرد غير أصيلة النشأة وليست مشتقة كالأسماء والأفعال من جذر ثلاثي، ولكنها مكونه من حروف وعناصر مختلفة ألفت الجماعات السامية الأولى بينها، وكونت منها الضمائر المنفصلة(نامي، (د.ط)، ص٧٧_٧٨)، والمنفصلة أحدث في بنائها وفي وجودها من الضمائر المتصلة؛لأنّ الضمائر المنفصلة بُنِيَتْ أو كوَّنت من عناصر أو من حروف مختلفة تآلفت مع بعضها، بل إن بعض الضمائر المنفصلة كوَّنت بعض عناصرها من الضمائر المتصلة والمعروف أنَّ العناصر أقدم من الأشياء المركبة.(نامي، (د.ط)، ص٧٧).

وأقدم ما كوَّن من تلك الضمائر هو المتكلم فالمخاطب فالغائب؛ لأنَّ الكلام من طبيعته وجوهره كلام متكلم، فضمير المتكلم أصل كل كلام، ويكلّم المتكلم شخصاً آخر أو يخاطبه، لذلك المخاطب أصل ثانٍ للكلام، ومرتبته تلي مرتبة المتكلم في الوجود والقدم، وضمير الغائب مشترك بين الضمائر وأسماء الإشارة، فهو حديث بين الضمائر، وإن كان أقدم منها في نشأته كاسم إشارة.(نامي، (د.ط)، ص١١).

وإذا كان هذا هو ترتيب الضمائر من حيث النشأة والتكوين فإن هذا هو ترتيبها من حيث التعريف أيضاً(الشايب،١٩٨٧، ص١٣)، ونستدل على ذلك بقول ابن يعيش (ت ٦٤٣هـ): "فأعرف المضمرات المتكلم؛ لأنه لا يوهمك غيره. ثم المخاطب، والمخاطب تلو المتكلم في الحضور والمشاهدة. وأضعفها تعريفاً كناية الغائب؛ لأنه يكون كناية عن معرفة ونكرة، حتى قال بعض النحويين كناية النكرة نكرة".(ابن يعيش،٢٠٠١، ٢/٢٩٢-٢٩٣).

ثانياً: ضمائر المتكلم:

١,١ ضمير المتكلم المفرد (أَنَا)

الصيغ الأساسية لهذا الضمير في اللغات السامية على النحو الآتي:

العربية: ورد عن العرب في هذا الضمير لغات هي:

أنا: بإثبات الألف في الوقف وحذفها في الوصل، وهذه الصيغة التي شاعت في اللغة المشتركة

أنا: بإثبات الألف وصلاً ووقفاً ونسبت إلى تميم

هَنَا: بإبدال الهمزة الأولى هاء

أَنْ: بتسكين النون

أنَ: بتحريك النون(الباقي،١٩٨٥،ص٣٥١).

أنه: بدل من الألف(السيوطي،١٩٩٨،١/٢٠١).

آنَ: بمده بعد الهمزة(ابن مالك،د.ت،١/٥١).

الأكدية: (anaku)

العبّرية : (anni)

آراميّة العهد القديم: (ana)

السريانية: (ena)

الفنيقيّة : (nk)

الأوجاريتيّة: (n k,n)

الحبشية : (aha)(بعلبكي،١٩٩٥،ص١٩٦).

اختلفت النحاة العرب في أصل الألف في ضمير المتكلم (أنا) فقال بعضهم: إن الفتحة الممدودة في " أنا" أصلية وقال آخرون : أنها زائدة، وذكر سيبويه: " ولا تكون في الوقف في "أنا" إلا الألف".(سيبويه،١٩٨٢،٤/١٦٤)

ذهب جمهور البصريين إلى أنه مركب من (أنَ) والألف في آخره، " فالألف والنون هو الاسم عند البصريين، والألف الأخيرة أُتي بها في الوقف لبيان الحركة".(ابن يعيش،٢٠٠١م، ٢/٣٠٤)، وحجتهم في ذلك كما يذكرها ابن جني (ت٣٩٢هـ): "أمّا الألف في (أنا) في الوقف فزائدة ليست بأصل. ولم نقضِ بذلك ولكن قضينا بزيادتها من حيث الوصل يزيلها ويذهبها، كما يُذهبُ الهاءَ التي تلحق لبيان الحركة في الوقف ألا ترى أنك تقول في الوصل: أنَ زيدٌ... ". (البغدادي، ١٩٧٦، ٥/ ٢٤٢) في حين ذهب الكوفيون إلى أنَّ الألف أصل في الضمير(ابن يعيش،٢٠٠١، ٢/ ٣٠٤)، وحجتهم في ذلك وروده بالألف وصلاً عند بعض العرب " وبنو تميم يثبتون الألف في الوصل في السعة وغيرهم لا يثبتونها في الوصل إلاَّ في ضرورة.(الاستراباذي،١٩٩٦، ٢/ ٤١٧) وذهب الفرّاء إلى أنّ " آنَ فعلتُ: بقلب الألف إلى موضع العين، فإن صحّت الرواية كان فيها تقوية لمذهبهم، فهو عند الكوفيين مبني على السكون وهي الألف، وعند البصريين مبني على الفتح".(ابن يعيش،٢٠٠١، ٢/٣٠٦)

ولغة تميم فيها إثبات الألف في الوصل والوقف، وبها قرأ ابن عامر، ونافع وورش وأبو عمر وغيرهم، يحذف ألفها وصلاً ويثبتها وقفاً، ولا يكون إثباتها وصلاً إلاَّ في الضرورة. (المطلبي، (د.ط)، ص١٦٤) وأرى أنَّ رأي الكوفيين أقرب إلى الصواب؛ لأنَّ لغة تميم تثبت الألف في الوصل والوقف وعليها جاءت القراءات السابقة، وهذا ما نصَّ عليه سيبويه.(سيبويه،١٩٨٢، ٤/١٦٣-١٦٤).

أمّا المحدثون فذهبوا إلى أنَّ الضمير (أنا) مركب من (أنْ) والهمزة، والضمير عندهم الهمزة، فقد ذهب بروكلمان إلى أنَّ الضمير (أنا) مركب من الضمير (أ) (a) التي لا تزال تقابلنا وحدها في الفعل المضارع (an). (بروكلمان،١٩٧٧، ص٨٦).

فالضمير "أنا" لو نظرنا إلى بنيته الأساسية نجدها (أنأ) فحصلت مخالفة ما بين الهمزة الأولى والثانية، فحذفت الهمزة الثانية، وجاء المد ليعوض عنها حركتها وبناء على ذلك أصبحت الصيغة " أنا"، فقد أشار عبد العزيز مطر إلى "أنَّ السَّرَ في مجيء الضمير "نا" بدلاً من "أنا" هو تخلص البدو من الهمزة ".(مطر، ١٧٧٦، ص١٣٧) ولو تتبعنا ضمير المتكلم المفرد في اللغات السامية، وفي الكتابات العربية التي كتبت في شمال الجزيرة العربية قبل الإسلام تبين لنا أن الألف الموجودة في نهايته هي من بنية ضمير المتكلم " أنا" وأن أصل هذه الألف كان همزة، وأنها خففت إلى ألف في زمن قديم جداً(نامي،(د.ط)، ص٨٣) ؛لأنّ حروف

اللين أو الحركات الطويلة تخفف أو تحذف إذا وقعت في نهاية الكلمات، لذلك حذف العرب الألف من ضـــمير المتكلم (أنا) فقالوا: (أنَ) بنون مفتوحة، ولذلك فإن فتح النون في ضمير المتكلم المحذوف ألفه في حالة الوصل دليل قاطع على أن هذه الفتحة كانت ألفاً ثم قصرت الألف إلى فتحة لوقوعها في نهاية الكلمة عند اتصال الكلام، أي أنَّ ألف (أنا) أصلية وأنها من بنية الضمير وأنَّ أصلها كان (أنأ) بهمزة نهائية.(نامي،(د.ط)، ص٨٣).

ويشير محمود فهمي حجازي إلى أنَّ (أنا) الضمير الأساسي (أنْ) (an) هذه النهاية مأخوذة من حرف المضارعة an +a ⟵ ana (حجازي،د.ط،ص٢٠٣)،وفي الأكدية (anaku) الأساسي (ku) هذه النهاية هي الضمير المتصل بالفعل الماضي للمتكلم، وهو الكاف المضمومة في الأكادية(حجازي،(د.ط)، ص٢٠٤)، في حين ذهب السيد يعقوب بكر إلى أنَّ الضمير (أنا) مركب من الضمير (أ) المتصل بالمضارع والنهاية الإشارية (نا) (بكر،د.ط،ص٤١)، وذهب مهدي المخزومي إلى أنَّ الضمير مركب من (أنْ) والألف فالضمير عنده الألف و (أنْ). (المخزومي،١٩٦٦، ص٥٠).

وبناءً على ما سبق يمكن تلخيص مراحل تطور ضمير المتكلم المفرد (أنا) بما يأتي.

أنْ ⟵ آنَ ⟵ أنَ ⟵ أنا (في حالة الوصل).

أَنْ ⟵ أَنَهْ ⟵ أنا (في حالة الوقف). (أبو موسى،١٩٩٥، ص٢٠)

١,٢ ضمير جماعة المتكلم (نَحْنُ):

الصيغ الأساسية في اللغات السامية هي:

العربية: نحن (nahnu)

الأكدّية :ninu وفي النصوص المتأخرة (hini) و (anenu) و (aneni)

العبرّية:nahnu

آرميّة العهد القديم: anahna

السريانية: (hnan) و (enahnan)

الفينقية:nhn

الأوجاريتيّة: هذا الضمير غير وارد في نصوصها المعروفة.

الحبشية: nehna (بعلبكي،١٩٩٥، ص٢٠٢)

المصرية القديمة والقبطية: anon

سبئي معيني:nahnu

بابلي آشوري: anini- nini- aninu- ninu (جبر،١٩٨٣، ص٢٥)

اختلف في علة بنائه على الضم، فقال الفرّاء وثعلب: لما تضمن معنى التثنية والجمع قُويَّ بأقوى الحركات وهي الضمة، وقال أبو اسحق الزجاج: نحن للجماعة ومن علامة الجماعة الواو، والضمة من جنس الواو.(السيوطي،١٩٩٨،٢٠٢/١) وقال أبو الحسن الأخفش الصغير أنّ الضمير (نحن) للمرفوع فحرّك بما يشبه الرفع، وقال أبو العباس المبرد أنّ ضمير نحن شَبَهٌ يُقبل وبعد لأنّه متعلق بشـــيء هو الإخبار عن اثنين فأكثر.(السـيوطي،١٩٩٨،٢٠٢/١)؛ لذلك حُرِّك بالضـــم كما حركت قبل وبعد؛ لأنهما يصلحان للشيء وللشيئين فما فوقهما، ولذلك صارت (نحن) غاية كقبل وبعد. وقال قطرب: الأصل (نحن) بضم الحاء وسكون النون، ثم نقلت حركة الحاء على النون، وهي الضمة، واسكنت الحاء.(نامي،(د.ط)، ص٨٨).

يقول خليل نامي: "والصحيح في تلك الآراء كما يظهر لنا أن (نحن) حركت بالضمة؛ لأنَّ الضمة من جنس الواو التي هي من علامة الجمع؛ لأننا نعرف من المقارنات اللغوية أنَّ ضمة (نحن) أصلها ضمة مشبعة أي واو، وقد قصرت الواو إلى ضمة لوقوعها في نهاية الكلمة، ولوقوع النبر عليها..... أي أنَّ ضمير نحن عند وضعه أضيفت إليه الحركة أو العلامة التي أضيفت إلى جمع المخاطبين والغائبين، أي أنَّ الواو كانت علامة من علامات جمع الضمائر الثلاثة (المتكلم والمخاطب والغائب) عند الجماعات السامية.(نامي،(د.ط)، ص٨٨)

فقد ذكر بروكلمان الغموض الذي يكتنف هذا الضمير بقوله: "أمّا بناء ضمير المتكلم الجمع، فهو غامض، وأقدم صيغة توجد في العربية والعبرية".(بروكلمان،١٩٧٧، ص٨٦)

ففي العربية "نحن" في السريانية "حنَن" أمّا في العبرية فقد رأيت أنه حفظ في المفرد والجمع ولكنه فُقِدَ من هذا الأخير في أزمنتها المتأخرة، فإنَّ ضمير المتكلمين كان في العبرانية في أول أزمانها (انحنو) ثم بكثرة الاستعمال أسقطوا لفظ الحاء أحياناً فقالوا: "انو".(زيدان،١٩٨٢، ص٩٠) في حين ذهب براجشتراسر إلى أنَّ أصل (نَحْنُ) هو (نِحْنَ) أي أنَّ الأصل (i) وإبدال الكسرة بالفتحة لتشابه الحركة للحرف الحلقي (الحاء).(براجشتراسر، ١٩٨٢، ص٧٧) وعارضه رمزي بعلبكي بقوله: "أنَّ هذا التفسير غير مقنع؛ لأنَّ القواعد الصوتية في كل من الأكدية والحبشية تحتم انقلاب الفتحة الأصلية إلى كسرة في مثل هذه الكلمة. ومثال ذلك في الأكدية. (belum) التي أصلها (balum) ..... وفي الحبشية كثيراً ما تتحول الفتحة في المقطع المفتوح إلى كسرة بعد عدد من الصوامت، من بينها الحاء، وعلى ذلك يكون الأصل (nehna) هو (nahna)، ولذلك نعتقد أنَّ الأصل في السامية هو (nahnu) بالفتح".(بعلبكي،١٩٨٠، ص٢٩) وأمّا قولهم في (الحاء) فقد ذهب السهيلي إلى أنَّ العرب :"جعلوا بين النونين (حاء) ساكنة لقربها من مخرج الألف الموجودة في ضمير المتكلم قبل النون وبعدها".(السيلي،(د.ط)، ص٢٢٤)، وذهب عبد الحق فاضل إلى أنَّ الحاء زائدة دون أن يعلل سبب وجودها زائدة في الضمير (نحن) فيقول: (نحن= نا+ ح (زائدة).(فاضل،١٩٦٧، ص٢٨٠) وذهب محمد سالم الجرح بقوله: "عندما أردنا أن نصل العنصر الجوهري للضمير(وهو نون جمع المتكلمين) بالقاعدة الضميرية "أنْ " وجدنا من الأنسب الإيتان بحركة طويلة لتفصل بين النونين خوفاً من إدغامهما أو سقوط إحداهما، وهكذا صار الضمير "أَنَانُو" وفي اللغات السامية صور لضمير جمع المتكلمين تطابق هذه الصورة، ثم حوَّل هذا المد الحركي إلى هاء كلون من إغلاق المقطع المفتوح كما تُحوَّل بعض اللهجات القديمة في جنوب الجزيرة العربية ألف التثنية إلى هاء، فتقول في "كتابان" مثلاً "كِتَابَهْنْ" فصار الضمير " أَنَهْنُو"، ثم كان من السهل أن تتحول هذه الهاء إلى حاء".(الجرح،١٩٦٧، ص٥٩_٦٠) فيكون التركيب لها

أنانو ⟵ أنهنو ⟵ أنحنو ⟵ نحنُ.

وهكذا صار الضمير "أنحن"، " أنحنو" فإذا لم نأتِ بحركة فاصلة فإننا نضطر إلى أدغام النونين أو إسقاط إحداهما، وهذا ما فعلته العبرية في الصورة الأخرى لهذا الضمير وهي "آنُو" فوجد هذا الضمير العبري بلا حاء يدل على أنَّ الحاء ليست عنصراً أصلاً في الضمير وإلاَّ لما جاز حذفها.(الجرح،١٩٦٧، ص٦٠).

وأمّا قولهم في النون الأخيرة من الضمير (نحن)، فقد ذهب النحاة إلى أنَّ النون هي نون الضمير المفرد "أنا" وأنَّ هذه النون أصلية وهذا ما نص عليه السهيلي على اعتبار النونين شيئاً واحداً وهما عنده نون المتكلم المفرد.(السهيلي،(د.ط)، ص٢٢٤)، أمّا عند محمد سالم الجرح نون جمع المتكلمين وأطلق عليها العنصر الجوهري في مقابل القاعدة الضميرية (أنْ) التي يبدأ بها ضمير المتكلم (أنا) وأمّا الضمة فقد أطلق عليها المكيف الضميري.(الجرح،١٩٦٧، ص٥٩). فهو في هذا الرأي يجعل النون أصلية مستمدة من ضمير المتكلم المفرد "أنا" وهذا ما ذهب إليه السهيلي.

ويرى الباحث أنَّ أصل هذا الضمير(نحن) ما ذهب إليه خليل نامي (نحن) هو (أنحنو) أصل الصيغ التي استخدمتها اللغات السامية، فقد تطورت عن طريق تقصير الضمة الطويلة إلى ضمة قصيرة لوقوعها في نهاية الكلمة، ولوقوع النبرة عليها.(نامي،(د.ط)، ص٨٨)، فاختيرت الضمة تشبيهاً لها بحركة الفاعل؛ لأنه لما وقع على التثنية والجمع والمؤنث والمذكر أعطي الضمة؛ لأنها أقوى الحركات(الثمانيني،٢٠٠٣، ص٤٠٠).

ثالثاً: ضمائر الخطاب:

١,١ ضمير المخاطب (أَنْتَ) والمخاطبة (أَنْتِ):

الصيغ الأساسية لهذا الضمير هي:

العربية:أنت (anta) للمذكر، وأنت (anti) للمؤنث.

الأكدية: (atta) للمذكر، (atti) للمؤنث.

العبرية:(atta) للمذكر، (att) و (atti) للمؤنث.

آراميّة العهد القديم: (anta) للمذكر والمؤنث.

السريانية: (att) للمذكر و (att) للمؤنث.

الفينقية:(t) للمذكر ومثله للمؤنث

الأوجاريتيّة:(anta) للمذكر، (anti) للمؤنث (بعلبكي،١٩٩٥، ص١٩٨).

البابلي الأشوري: (atta)

المعيني:(anta)

الحبشي: (anta) (جبر،١٩٨٣، ص٢٨).

اختلف النحاة في أصل هذا الضمير، فذهب البصريون إلى أنَّ ضمير المخاطب هما (الهمزة والنون) اللتان كانتا للمتكلم وبقية الحروف زوائد، فإذا خاطبت واحداً زدت على الهمزة والنون تاء المخاطب، وهي حرف متحرك لوقوع الساكن قبلها، وخصصت التاء بالفتحة لتكون حركتها كحركة التاء التي للمخاطب في الفعل ضربت، وَحَرَّكْتَ بالكسرة في أنتِ؛ لأنّ الكسرة من الياء والياء مما يؤنث بها في نحو تضربين.(نامي،(د.ط)، ص٩١) في حين عدّ الكوفيون التاء في (أنت) من نفس الكلمة، الكلمة بكمالها اسم، وقال بعض الكوفيين كما قال بذلك أيضاً محمد بن كيسان وكان من البصريين الذين كانوا يميلون إلى بعض آراء الكوفيين، إنَّ الضمير المرفوع هو التاء، هو تاء فعلت، فلما أرادوا انفصالها دعموها بأن لتسقل لفظاً(أبو حيان،١٩٩٢، ٩٢٧/٢).

يقول السهيلي: "اشتركا المتكلم والمخاطب في اللفظ الدال على الاسم الظاهر، وهو الألف والنون، وفُرِّق بين ضمير المخاطب وضمير المتكلم بالتاء خاصة، فقالوا: أَنْت وخُصَّتْ "التاء" بذلك لثبوتها علامة لضمير المخاطب الفاعل في "فَعَلْتَ إلاّ أنها هناك اسم، وفي (أنتَ) لا موضع لها من الإعراب".(السهيلي،(د.ط)، ص٢٢٠) وذكر صاحب شرح الكافية: "إنّ الضمير المرفوع هو "التاء" المتصرفة، فكانت مرفوعة متصلة، فلما أرادوا انفصالها: دعموها بـ (أنْ) المستقل لفظاً.(الاستراباذي،١٩٩٦، ٤١٨/٢) وهو بذلك يذهب مذهب الكوفيين وابن كيسان.

وإذا جردنا ضمير المخاطب (أنت) من مميزات العدد والجنس ومن النون الزائدة أتضح جلياً أنَّ الأصل فيه (التاء) أو أحد تنوعاتها. فالنون هي الزائدة في هذا الأصل غير ثابتة في جميع اللغات الشرقية على السواء، فإنها في "أنت" مثلاً تكتب ولا تلفظ في العربية (وهكذا في الكلدانية والمصرية) وتكتب ولا تلفظ في السريانية، والعبرانية، وبناء عليه فلا يعتمد عليها متى وجدت، وإنَّما الاعتماد في المخاطب على التاء فهي الأصل في جميع أوجه تصريفه، ويؤيد ذلك حالته فيما بقي من اللغات، فإنها التاء أو أحد تنوعاتها في سائر اللغات الآرية فهي في اللاتينية (tu) وفي اليونانية (su) و (السين تبدل تاء) وفي الفرنسية (tu) وأخواتها في

الإنجليزية (thou) وفي الجرمانية (tu) أو (du) وفي السنسكريتية (tua) وفي الفارسية "تو" وفي الاشورية (أتّا) وفي الكلدانية "أنتَ" وفي المصرية القديمة (entuk) وفي القبطية (ntok).(زيدان،١٩٨٢، ص٩١) أمّا بروكلمان فقد جعل ضمائر الخطاب مركبة من (ta) و (ti) التي لا تزال تقابلنا وحدها في الفعل.(بروكلمان،١٩٧٧، ص٨٦).

ويرى الباحث أنَّ الضمير المخاطب (أنتَ) و (أنتِ) صاغته العربية من العنصر الإشاري (أنْ) ثم أضافت إليها التاء الدالة على الخطاب التي ترد في بداية الأفعال المضارعة وأواخر الفعل الماضي، ثم ميزت بين المذكر والمؤنث، فاختارت الفتح للمذكر والكسر للمؤنث وهذا ما ذهب إليه رمزي بعلبكي بقوله: "يبدو أنَّ الفرق بين الفتحة النهائية في المذكر والكسرة النهائية للمؤنث مشترك بين هذه اللغات، ولذلك نستنتج أنه كان قائماً في اللغة السامية الأم".(بعلبكي،١٩٨٠، ص١٩٨). وقال الزجاجي: "إنَّما فتحوا (التاء) في (أنتَ) للمذكر وفي المؤنث (أنتِ) بالكسرة ليفرقوا بين المخاطبين .....".(الزجاجي،١٩٨٣، ص١٠٥).

١,٢ ضمير المخاطبين (أَنْتمُ)

الصيغ لهذا الضمير في اللغات السامية هي:

العربية: أنتم (antumu) للمذكر

الأكدية: (attunu) للمذكر، (attina) للمؤنث.

العبرية:(attem) للمذكر، (atten) و (attena) وأحياناً (attenna) للمؤنث.

أراميّة العهد القديم: (antun) للمذكر.

السريانية: (atton) للمذكر، (atten) للمؤنث

الحبشية: (ante mmu) للمذكر، (anten) للمؤنث.(بعلبكي،١٩٩٥، ص٢٠٤)

اختلف النحاة في أصلة، فذهب البصريون أنَّ اختيار الميم في هذا الضمير لمجاوزة الواحد، وقالوا: إنَّ ثبوت (الواو) في (أنتم) هو الأصل؛ لأنَّ الواو للجمع.

أمّا الكوفيون، فذهبوا إلى أنَّ الضمير (أنتم) بكمالة هو اسم من غير تفصيل وشاركهم في هذا الرأي أيضاً بعض البصريين.(نامي،(د.ط)، ص٩١_٩٢) يقول عمر بن ثابت الثمانيني(ت ٤٤٢هـ)، "فإن جمعت زدت بعد الميم واواً فقلت: (أنتمو) هذا هو الأصل. وقد يحذفون (الواو) فإذا حذفوها أسكنوا الميم فقالوا: (أنتم فعلتم) وإنَّما حذفوا الواو لأمرين:

احدهما: أنّه ليس في أسماء العرب اسم في أخره واو قبلها ضمة.

والثاني: فراراً من ثقل الواو، وأنَّ اللبس عنه مرتفع؛ لأنّه ليس في الواحد ميم. فيلتبس به،..... وتسكن الميم؛ لأنّ في إبقاء ضمتها اجتلاباً للواو التي فرّ من ثقلها.(الثمانيني،٢٠٠٣، ص١٤٠)

فالصيغة الأصلية هي (أنتمو) بضم محدود، فالأصل (أن + ت +مو) و (أنْ) هي القاعدة الضميرية، وأنَّ (التاء) هي العنصر الجوهري للخطاب، وضمها راجع إلى مجاورة (مو). وقد شاع اختصار الصيغة الأصلية "أنتمو" إلى "أنتم" بحذف الضمة الطويلة وإسكان الميم.(جبر،١٩٨٣، ص٣٥).

يقول ابن يعيش: "فإن خاطبت جماعة قلت: (أنْتُمو)، وإن شئت قلت: (أنْتُمْ)، وثبوت الواو هي الأصل؛ لأنَّ الواو تكون علامة ضمير الجمع في الفعل، نحو: "قاموا"..... وحذف الواو تخفيف لثقلها عند أمن اللبس وزوال الإشكال؛ لأنّه لا يَلْبَسَ بالواحد لوجود الميم.(ابن يعيش،٢٠٠١،٢/٣٠٧-٣٠٨) وبناءً على ذلك إنّ علامة الجمع في (أنتم) هي الميم والواو، ولكننا لا نجد الميم علامة للجمع في اللغة العربية، بل نجد أنَّ (الواو) هي علامة للجمع في الفعل الماضي (قاموا)، وفي جمع المذكر السالم (مسلمون) وفي الفعل المضارع (يقومون) و (يفعلون)، وعرفنا أيضاً أنَّ عند الكلام عن ضمير المتكلمين أنَّ (الواو) كانت علامة للجمع (نحن)، وقصَّرت بعد ذلك الواو إلى ضمة.(نامي،(د.ط)، ص٩٣).

ويرى الباحث أنَّ الرأي الذي جاء به ابن يعيش وخليل نامي هو الصواب في أصل الضمير (أنتم) والأصل فيه (أنتمو) قُصَّرت الضمة الطويلة إلى ضمة قصيرة، وأسكنت الميم خوفاً من الالتباس وهذا ما حصل في ضمير المتكلمين (نحن).

١,٣ ضمير خطاب المثنى (أَنْتُما)

انفردت العربية بصيغتي التثنية في ضمائر الخطاب والغيبة، فلا نجد ما يقابلها في اللغات السامية.(جبر،١٩٨٣، ص٣٠) وفي هذا المقام يقول براجشتراسر: "والعرب كانوا يستحبون التثنية أكثر من سائر الساميين، ويستعملونها استعمالاً أوسع منهم".(براجشتراسر،١٩٨٢، ص٧٨)

فقد اختلف النحاة في أصل هذا الضمير، فذهب الكوفيون إلى أنّه بكماله اسم من غير تفصيل؛ لأنّ هذه الصيغة دالة على التثنية، وذهب إلى هذا الرأي بعض البصريين، وقالوا بذلك أيضاً في الجمع، وقال ابن كيسان: "إنَّ التاء هي الضمير وكثرت بأن وزيدت الميم للتقوية والألف للتثنية والنون للتأنيث "وقال البصريون عن تحريك تاء (أنتما) بالضم إنها لو فتحت أو كسرت لجاز أن يتوهم أنها كلمتان منفصلتان، فاجتلبوا حركة لم تكن لتدل على أنها كلمة واحدة، وأجروا جميع المضمر في التثنية والجمع هذا المجرى.(نامي،(د.ط)، ص٩١_٩٢)، وقيل إنَّ (التاء) ضمت في التثنية حملاً على الجمع؛ لأنها في التقدير كأنها وليت الواو في (أنتمو) وحملت التثنية على الجمع لكي يشتركا في ذلك كما اشتركا في الضمير (نحن)، وقال البصريون أيضاً: أنَّ الميم زيدت في التثنية لوجهين: أحدهما أنَّ التثنية أكثر من الواحد، وفي المضمرات ما هو على حرف واحد فكثر اللفظ كما كثر العدد لذلك زيدت في التثنية حرف، وجميع المضمرات عليه، والوجه الآخر: أنَّ القافية في ضمير المخاطب إذا كانت مطلقة وحرف الروي مفتوح وصل بالألف، ولهذا سمي ألف الوصل والصلة. كما في قول الشاعر:

أخوك أخو مكاشرة وضحك وحياك الإله وكيف أنتا

فلو لم يزيدوا الميم لالتبس الواحد بالتثنية، فزادوا الميم كراهية الالتباس.(نامي،(د.ط)، ص٩٢)، ويذهب براجشتراسر إلى أنه مشتق من المجموع بإلحاق فتحة ممدودة، وهي علامة التثنية فيها..... ويتضح ذلك أنه حديث بالنسبة إلى سائر الضمائر ولا يوجد في إحدى اللغات السامية غير العربية".(براجشتراسر،١٩٨٢، ص٧٨) وممّا يجب الإشارة إليه، أنَّ العربية لا تحفل بالدلالة على الجنس في ضمائر التثنية، فإذا كانت تثنية المذكر (أَنْتُما) بزيادة ألف على جمع الذكور، فكان الأولى أن تكون صيغة تثنية المؤنث (أَنْتُنَا antuna) غير أنَّ ذلك لم يرد، إمّا تغليباً للمذكر على المؤنث، فاستعملت العربية ضمير المذكر دالاً على الإناث، كما يحدث في كثير من اللهجات اليوم، حين تُغَلّبُ (إنْتُو) وهو ضمير للذكور على الإناث، أو أنَّ العربية قامت بقلب نون (أَنْتُنَا) إلى ميم بتأثير ضمير المذكر، كما حدث في ضمير جماعة الذكور في الأكدية، إذ قلبت فيها الميم نوناً قياساً على المؤنث.(أبو موسى،١٩٩٥، ص٣٧_٣٨).

ويرى الباحث أنّ أصل الضمير (أنتما) هو (أنتمو) وقُصَّرت الواو إلى ضمة فأصبح (أنتم)، وأضيفت له ألف التثنية للدلالة على الجمع؛ لأنه دلَّ على أكثر من واحد.

١,٤ ضمير المخاطبات (أَنْتُنَّ)

الصيغ الأساسية في الساميات لهذا الضمير هي:

العربية:(antunna)

العبرية:((atten(a)

البابلي والآشوري:(attina)

الآرامي والسرياني:atten

الحبشي: anten(جبر،١٩٨٣، ص٣٥)

أصل (انْتُنَّ) هو (أنتِ) فزادوا فيه نوناً مشددة مضمومة على ضمير المخاطبة ليكون (أنتنَّ) وقياساً على المذكر (أنتم) حُرِّكت تاؤه بالضم كما قال النحاة، وقد وافقهم في هذا الرأي خليل نامي فيما ذهبوا إليه؛ إذ يقول في حركة التاء في (أنتنَّ) " كانت في الأصل هي الكسرة بدليل وجودها في ضمير المخاطبة وفي ضمير المخاطبات في كثير من اللغات السامية..... وحرّكها العربُ بعد ذلك بالضّمة قياساً على ضم تاء الجمع في ضمير المخاطبين أنتم"(نامي،(د.ط)، ص٩٤). وينطق في الجبالية (تَ ن) وفي المهرية ينطق بإمالة التاء (تِ ن)، وهناك تشابه بين ضمير المخاطبات (ت ن) الذي في لهجات الأحقاف وضمير المخاطبات الذي في الفصحى (أنتن)، ومن خلال (ت ن) نستطيع القول: إن (ت ن) كانت تمثل أقدم صورة لضمير المخاطبات في العربية عموماً. إنَّ ذلك الضمير طرأت عليه تطورات في مراحل متقدمة، فأضيفت إليه الألف والنون سابقتين للتاء وبعد هذه الإضافة سيصبح (تن ← أنتن).(مريخ،٢٠٠١، ص١٠٩).

وورد في اللهجة البحرينية أنَّ الضمير (إنْتِينْ) بكسر التاء يستخدمونه للمفردة المخاطبة، والضمير(إنْتُون) لجمع المخاطبين والمخاطبات مثل : إنْتِينْ سَمْعتين، وأنْتُون سَمْعتُون.(مطر،١٩٧٦، ص٧٣).

فالضمير " أنْتِين" من الضمائر الآرامية، والسريانية (وهي لهجات الأرامية..... ولكن الضمير (أنتين) فيما لجمع المخاطبات، فيحتمل أنّه تطور من لهجة البحارنة، وربما في فترة بعيدة، للدلالة على المفردة بضمير الجمع، ووجد هذا الضمير في اليمن ويستعملونه للمثنى والمؤنث فقط. (مطر،١٩٧٦، ص٧٤).

وتفسير وجود الضم (u) بعد التاء في ضمير المخاطبات..... فالأصل هو الكسرة (antinna)، ثم قلبت الكسرة ضمةً بتأثير من ضمير المخاطبين فأصبح الضمير على صيغته المعروفة (أنَتُنَّ antunna). وقد احتفظت بعض اللغات السامية بالأصل كالبابلية، والأشورية، والعبرية، والأرامية، والحبشية، كما احتفظت بالكسرة العديد من اللهجات العربية الحديثة، كما في العراق (inten) وعُمان (nten) يضاف إلى ذلك أنّ الصيغة (inten) تسمع في الأردن وفلسطين. وفي مقابل قياس العربية المؤنث على المذكر قامت العبرية بقياس المذكر على المؤنث، إذا قلبت الضمة التي في (antumu) السامية إلى كسرة قياساً على المؤنث فأصبحت (attem) مع إدغام النون في التاء والتخلص من الضمة الأخيرة.(أبو موسى،١٩٩٥، ص٣٤_٤٥).

أمّا سبب تضعيف النون هو وقوع النبر على هذا المقطع "تن" ذي الضمة القصيرة، مع وجود حركة مخالفة هي الفتحة التالية.(جبر،١٩٨٣، ص٣٥) ويرى رمزي بعلبكي أن التشديد هو "ظاهرة لهجية لا تشترك فيها اللغات السامية إلى حد يمكن اعتبار هذا التشديد موجوداً في السامية الأم".(بعلبكيي،١٩٨٠، ص٣١).

ويرى الباحث أنّ الضمير (أنْتُنَّ) الأصل فيه أنهم قاسوه على ضمير المخاطبة (أنتِ) والدليل على ذلك أنه جاء في اللغات الجبالية والمهرية بكسر التاء قياساً على ضمير المخاطبة ثم قلبت الكسرة ضمةً تأثيراً بضمير المخاطبين حتى أصبح على صيغته الموجودة (أنْتُنَّ).

رابعاً: ضمائر الغائب:

١،١ ضميرا الغائب (هو) والغائبة (هي):

الصيغ الأساسية هي:

العربية:هو (huwa) للمذكر وهي (hiya) للمؤنث

الأكدّية: (su) للمذكر، (Si) للمؤنث

العبرية:(hu) للمذكر، (hi) للمؤنث

آراميّة العهد القديم: (hu) للمذكر، (hi) للمؤنث

السريانية: (hu) للمذكر، (hi) للمؤنث

الفنيقية:(h) و (ht) للمذكر، (h) للمؤنث

الأوجاريتيّة:(hw) للمذكر، (hy) للمؤنث

الحبشية:(wetu) للمذكر، والمؤنث (yaeti) للمؤنث.(بعلبكي،١٩٩٥، ص١١٩)

فقد ورد في الضمير (هو) ثلاث لغاتٍ: يقال: هُوَ، وهُوْ، وهُوَّ، فأمّا من قال "هُوَ" فإنه حرّك الواو، وطلب التثقيل، وأمّا من قال: "هُوَّ" فإنه كره أن يكون الاسم على حرفين فعمدة بالتشديد ..... وبعضهم يسكن الواو إذا تقدمها واو.(الفراهيدي،١٩٨٥، ص٢٦٧).

واختلف النحاة في أصلهما، فذهب الكوفيون أنَّ الاسم من " هُوَ، وهي" الهاء وحدها، وذهب البصريون إلى أنَّ الهاء والواو من "هو" والهاء والياء من "هي" هي الاسم بمجموعهما.

أمّا الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا: الدليل على أنَّ الاسم هو الهاء وحدها دون الواو والياء أنَّ الواو والياء تحذفان في التثنية، نحو"هما" ولو كانت أصلاً لما حذفتا. والذي يدل على ذلك أنهما تحذفان في حالة الإفراد أيضاً وتبقى الهاء وحدها، كقول الشاعر العُجير السَّلُولي:

فَبَيْنَاهُ يشري رَحْلَهُ قَالَ قَائِلٌ: لِمَنْ جَمَلٌ رِخْوُ المِلاط نَجِيْبُ

أراد "بَيْنَاهُوَ".(الأنباري،٢٠٠٧، ١/٥٥٧)

وقال آخر:

هَلْ تُعْرِفُ الدارَ على تبراكا دَارٌ لِسُعْدَى إذهِ مِنْ هَوَاكا

أراد" "إذ هي" فحذف الياء، فدلَّ على أنَّ الاسم هو الهاء وحدها، وإنَّما زادوا الواو والياء تكثيراً للاسم، كراهية أن يبقى الاسم على حرف واحد، كما زادوا الواو في قولهم: "ضربتُهُو، وأكرمتُهو".(الأنباري،٢٠٠٧، ١/٥٥٧_٥٥٨).

وأمّا البصريون فاحتجوا بأن قالوا: الدليل على أنّ الواو والياء أصل أنّه ضمير منفصل، والضمير المنفصل لا يجوز أن يبنى عل حرف واحد؛ لأنه لا بدَّ من الابتداء بحرف والوقف على حرف، فلو كان الاسم هو الهاء وحدها، لكان يؤدي إلى أن يكون الحرف الواحد ساكناً متحركاً، وذلك محال، فوجب أن تكون الهاء وحدها هي الاسم.(الأنباري،٢٠٠٧، ١/٥٥٩)

وَيَرُدُّ خليل نامي على الكوفيين بقوله ".... فحذف الواو والياء من (هو) و (هي) كما رُويَّ في تلك الشواهد فتلك لضرورة الشعر، وقد جاء في الشعر حذف الحروف الصحيحة، والواو والياء من حروف العلة، والمعتل أضعف من الصحيح، فإذا جاز حذف الأقوى لضرورة الشعر فحذف الأضعف أولى وهذا مجمل لآراء البصريين والكوفيين في ضمائر الغائب".(نامي،(د.ط)، ص٩٨).

ويقول في موضع آخر: "حرف المذكر في اللهجات القديمة هو (الهاء) كما هو الحال في العربية وفي كثير من اللغات السامية الأخرى، وحرف المؤنث هو (السين) المقابلة للشين في اللغات السامية الشمالية، ولم تحافظ على الشين لغة من اللغات السامية الشمالية غير الأكدية التي أشاعتها بدورها ونقلتها إلى المذكر عوضاً عن (الهاء) التي كانت موجودة فيها فصارت ضمائر الغائب في اللغات الأكدية هي (شو) للمذكر و (شي) للمؤنث أي للغائبة.....". (نامي،(د.ط)، ص٩٨) كما احتفظت بعض اللغات العربية الجنوبية القديمة بـ (السين) الغائبة وأشاعتها بدورها، ونقلتها إلى المذكر أيضاً وبنو ذلك في اللغات المعينية والحضرمية والقتبانية، إذ نجد فيها (سو) للغائب و(سي) للغائبة.... ونعرف من المقارنات اللغوية. أنَّ ضمير الغائب كان في الأصل (هأ) والغائبة (سأ) وقلبت الهمزة بعد ذلك واواً في العربية فصار ضمير الغائب المذكر فيها "هو" وأشاعت اللغة العربية الهاء ونقلتها إلى المؤنث فصار (هأ) ثم قلبت الهمزة ياء فصار الضمير (هي) وأشاعت لغات سامية أخرى هاء المذكر فيها فنقلتها إلى المؤنث فضاعت علامة المؤنث وهي (السين) أو (الشين) من كثير من اللغات ولم تبق إلاَّ في المهرية".(نامي، (د.ط)، ص٩٩)، فقد تطور

هذان الضميران، بتقصير العنصر الحركي فيها. أدى إلى تطورهما، فالأصل في هذين الضميرين هو (الهاء) كما يظهر من مقابلة اللغات السامية، ومثل ذلك في اللغات الآرية فهو في اليونانية (i) وما يركب منها، وفي اللغات الجرمانية (hua) و (hu) و (hue) و (ho) و (he) و (hei) فبناء عليه يرجح أنَّ الهاء هي الأصل في جميع أحوال ضمير الغائب فقد انثنت بالكسرة فصارت " هي".(زيدان، ١٩٨٢، ص٩٢)، ودليل ذلك أيضاً أن هذا الحرف (هـ) يعبر في النصوص الصفوية في ضمير الغائب المذكر وعن ضمير الغائبة.(درويش، ٢٠٠٣، ص٦١).

فالمراحل التي أدت إلى تطورهما هي (هُؤ) و (هِيء)، فالذي حصل في البداية هو سقوط الهمزة طلباً للخفة، فمعروف أنَّ الهمزة تعد أصعب الأصوات إخراجاً، وأكثرها اجتهاداً، ولا سيما إذا كانت في آخر الكلمة الذي هو موضع الأوْن والاستراحة، لهذا كله سقطت من الطرف، وهذا ما حدث في ضمير المتكلم (أنأ) للسبب نفسه سقطت الهمزة حتى صار (أنا) وسبب سقوط الهمزة في (هُؤ) و (هيء) هو تتابع حركتين مختلفتين تتابعاً مباشراً بسقوط الهمزة (hua) و (hia) بسقوط الهمزة (hia) فتتابعت الضمة والفتحة في الأولى والكسرة والفتحة في الثانية، وهذا الوضع مرفوض البتة في اللغات السامية، ولتخلص من هذا السياق الصوتي المرفوض يحصل بشكل تلقائي انزلاق حركي يتخلق على أثره شبه الحركة ليفصل بين الحركتين وبالأنزلاق الحركي من الضمة إلى الفتحة تتخلق الواو، وبذلك يتحول الضمير من : a ⟵ hu بالأنزلاق إلى (huwa) أي "هو" وبالأنزلاق الحركي من الكسرة إلى الفتحة تتخلق الياء، وبذلك ينتقل الضمير من: a⟵ hi بالأنزلاق إلى (hiya) أي "هي".(الشايب، ١٩٨٧، ص٢٢)، فالأصل فيهما (الهاء).

١,٢ ضميرا الغائبين (هم) والغائبات (هُنَّ):

336

تطور هذان الأصلان في العربية بانكماش الحرف الأول (i, u)؛ لأنَّ العربية لا تستحب المقاطع الطويلة المتتابعة، وتحاول التخلص منها عن طريق تقصيرها، فأصبحت صيغة المذكر: hu + mu ⟵ humu (هومو)، والمؤنث hina⟵ hi + na (هينا) هاتان هما الصورتان البدائيتان لضمير الغيبة الجمع بنوعية، ثم حصل انكماش في العناصر الحركية فيهما، فتحول ضمير جماعة الغائبين من: هومو: humu ⟵humu: "همو" وهذه هي الصورة الأصلية التي أجمع القدماء والمحدثون حتى المستشرقون على أنها أصل ضمير جماعة الغائبين(الشايب،١٩٨٧،ص٣٥). يقول السيوطي: "والأصل في ضمير الجمع الإشباع بالواو كما اشبع ضمير المثنى بالألف". (السيوطي،١٩٩٨، ١/١٩٤).

فـ (همو) محذوفة من "هومو" وبالمثل حصل انكماش في حركة النون من ضمير جماعة الغائبات فتحول من" هينا: hina بانكماش حركة النون إلى (hina) هين " ثم تطور هذا الضمير عن طريق اختزال حركة الهاء هذه المرة وتعويض عنها بمدّ النون، فتحول بذلك من: hina بانكماش الحركة والتعويض إلى (hinna)، هِنَّ، وهذه الصورة لضمير جماعة الغائبات لا تزال حيّة في اللهجات الدارجة لبلاد الشام وتكسر النون في بعض اللهجات فيقال: "هِنَّ.(الشايب، ١٩٨٧، ص٣٤)، وفي العربية الفصحى تغلّبت ضمة المذكر على كسرة المؤنث، فتحولت بذلك كسرة الهاء في " هِنّ" إلى ضمة قياساً على المذكر وبذلك أصبح الضمير "هُنَّ".(الشايب،١٩٨٧، ص٣٥_٣٦)، وحركة الهاء في معظم الصيغ السامية هي الكسر علامة التأنيث أو الإمالة، ولكنها في العربية مضمومة، وهذا يرجع إلى تأثير صيغة جمع المذكر (هم). (جبر، ١٩٨٣، ص٤٣).

أمّا سبب تشديد نون "هنّ " قال المبرد" فكل موضع لا تكون علامة المذكر فيه واواً في الأصل، فالنون للمؤنث فيه مضاعفة، ليكون الحرفان بإزاء الحرفين وكل موضع علامة المذكر فيه الواو وحدها، فنون المؤنث فيه مفرده. (المبرد، ١/٢٩٧، ١٩٩٩)، فالعربية عمدت إلى تشديد النون بعد أن قُصَّرت الحركتان الطويلتان: الأولى (i) للتخلص من تتابع المقاطع الطويلة المفتوحة، والثانية: (u) تخفيفاً، ويمكن تفسير تشديد النون على أنه كان بسبب ميل العربية لتشديد الحرف الأخير إذا سبق بمقطع منبور.(أبو موسى،١٩٩٥، ص٥٤_٥٥). يقول بروكلمان: "وفي العبرية والآرامية غالباً ما يوجد تضعيف ثانوي كذلك، بعد حركة

قصيرة وقبل مقطع منبور.(بروكلمان، ١٩٧٧، ص٤٤)، خصوصاً إذا كان الحرف الأخير متلواً بفتحة وفي هذا تفسير عدم تشديد ميم (هُمْ) أو (هُمُوُ) في العربية، غير أنَّ بعض اللهجات العربية في مصر وطرابلس (ليبيا) والعراق وسوريا، شددت الميم (hummu) قياساً على المؤنث مع تحريكها بالفتح، وربما أمالت بعض اللهجات هذا الفتح (humme).(أبو موسى،١٩٩٥، ص٥٥).

١,٣ ضمير مثنى الغائب (هما):

الضمير (هما) مشتق من ضمير الجمع "هم" بزيادة فتحة طويلة على آخره للدلالة على التثنية، وبناء على القاعدة التي تقوم بأسبقية المشتق منه على المشتق، فقد حكم اللغويون على ضمائر التثنية بأنها حديثة.(الشايب،١٩٨٧، ص٣٣) وحقيقة الضمير (هما) اختلف فيه القدماء: فأبو علي الفارسي (ت ٣٧٧هـ) ذهب إلى "أنَّ الهاء والميم والألف في (هما) كلها أصول".(السيوطي،١٩٩٨،١/٢٠٢) في حين أجمع باقي النحاة على أنَّ الميم مزيدة فيه للدلالة على مجاوزة الواحد، وأنَّ الألف مزيدة للدلالة على التثنية. (الشايب،١٩٨٧، ص٣٣).

وأورد ابن يعيش في هذا الضمير قوله: "وقيل إنَّ أصل (هما) هو (هوما)، فحذفت الواو، قالوا: لأنها لو بقيت لوجب ضمها؛ لأنَّ هذه الميم يُضم ما قبلها، والضمة تستثقل على الواو المضموم ما قبلها، فحذفت الضمة للثقل، ولما سكنت الواو تطرق إليها الحذف لضعفها، وذلك لئلا يتوهم أنهما كلمتان منفصلتان أعني: (ما) و (هُوَ) وتثبتت الألف في (هما) كما تثبتت في (أنتما)".(ابن يعيش،٢٠٠١، ٣٠٩/٢).

أمّا الكوفيون فقد ذهب الفرّاء (ت ٢١٥هـ) أنَّ (الواو) و (الياء) صلة في الضميرين فيقول: "والصلة تسقط إذا ثنيت فلما ثُنّي الاسمان ألحقوا ميماً ثم جاءوا بالألف للتثنية..... فإذا قلت (هما) أدخلت الميم ورجعت الياء إلى ضمتها، فإن قلت: قد كانت مكسورة في المؤنث، فإنما كسروا؛ لأنّ الياء لا تنحوها إلا الكسرة".(الزجاجي،١٩٨٣،١/٩٢).

في حين ذهب الخليل إلى أنَّ أصله: "فحذفوا الواو الزائدة وأتوا بالميم لما كانت من الزوائد".(الفراهيدي،١٩٨٥، ص٢٦٦) وَرَدَّ عليه فوزي الشايب "فهذه نماذج من تعليلاتهم لزيادة الميم والألف في ضمير الغيبة المثنى "هما" بعضها مقبولة وأكثرها مرفوض، مثلها ذلك مثل تعليلهم لاختصاص الضمير "هو" بالهاء والواو هي في جملتها تعليلات أملتها في الغالب معايير فلسفية ومنطقية لا تتفق وطبيعة اللغة.....؛ لأنها في معظمها تعليل وضعيات. والوضعيات لا تعلّل".(الشايب،١٩٨٧،ص٣٤_٤٥).

فالضمير (هما) يتكون من القاعدة الضميرية الهاء، و الميم التي تدل على مجاوزة الواحد، ثم ألف التثنية(جبر،١٩٨٣، ص٤١)، وهذا ما يميل إليه الباحث في أصل هذا الضمير وتطوره.

الخاتمة

بعد هذه الدراسة أرصد النتائج والتوصيات:

درس البحث التطور التاريخي لضمائر الرفع المنفصلة وخرج بالنتائج الآتية:

أولا: أنّ ضمائر المتكلم هي أقدم صيغ ضمائر الرفع المنفصلة وهذا ما ذكره النحاة.

ثانيا: الصيغة الأساسية لضمائر المتكلم والخطاب هي (أنْ) وتطورت عنها هذه الضمائر حتى وصلت إلى صورتها الحالية.

ثالثا: ضمائر الغيبة هي أحدث الضمائر من حيث تطورها التاريخي وهذا ما ذهب إليه فوزي حسن الشايب.

رابعا: الصيغة الأساسية لضمائر الغيبة هي العنصر الإشاري (الهاء).

أما التوصيات التي خرج بها الباحث في هذه الدراسة، فكانت على النحو الآتي:

١. يوصي الباحث بضرورة تتبع باقي الضمائر ودراستها دراسة تأصيلية لاستكمال الصورة التأصيلية المتكاملة الخاصة بالضمائر.

٢. ضرورة إجراء دراسة نقدية مقارنة بين اللغات السامية في هذا الجانب للوقوف على مواطن التشابه والاختلاف.

المصادر والمراجع

١. الاستراباذي، نجم الدين محمد بن الحسن الرضي (ت- ٦٨٦هـ)، **شرح الرضي على الكافية**، تصحيح وتعليق: يوسُف حسن عمر، منشورات جامعة قاريونس، ط٢، بنغازي، ١٩٩٦م.

٢.عمايرة، إسماعيل أحمد، **خصائص العربية في الأفعال والأسماء: دراسة لغوية مقارنة**، دار الملاحي، ط١، إربد، ١٩٨٧م.

٣.الأنباري، كمال الدين أبي البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد (ت- ٥٧٧هـ)، **الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، (د. ط)، بيروت، ٢٠٠٧م.

٤.براجشتراسر، **التطور النحوي للغة العربية**، أخرجه وصححه: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، (د.ط)، القاهرة، ١٩٨٢م.

٥.بروكلمان، كارل، **فقه اللغات السامية**، ترجمة: رمضان عبد التواب، جامعة الرياض، (د. ط)، الرياض، ١٩٧٧م.

٦.بعلبكي، رمزي منير، **فقه العربية المقارن: دراسات في أصوات العربية وصرفها ونحوها على ضوء اللغات السامية**، دار العلم للملايين، ط١، بيروت، ١٩٩٥م.

٧.البغدادي، عبد القادر بن عمر (ت- ١٠٩٣هـ)، **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**، تحقيق: عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ط)، القاهرة، ١٩٧٦م.

٨. بكر، السيد يعقوب، **دراسات في فقه العربية**، مكتبة لبنان، (د. ط)، بيروت، ١٩٦٩م.

٩. الثمانيني، عمر بن ثابت (ت- ٤٤٢هـ)، **الفوائد والقواعد**، دراسة وتحقيق: عبد الوهاب محمود الكحلة، مؤسسة الرسالة، ط١، بيروت، ٢٠٠٣م.

١٠.جبر، محمد عبد الله، **الضمائر في اللغة العربية**، دار المعارف، ط١، القاهرة، ١٩٨٣م.

١١.حجازي، محمود فهمي، **علم اللغة العربية**، وكالة المطبوعات، (د. ط)، الكويت، (د.ت).

١٢.أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف (ت- ٧٤٥هـ)، **ارتشاف الضَّرب من لسان العرب**، تحقيق: رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي، ط١، القاهرة، ١٩٩٨م.

١٣.درويش، محمود جاسم، **اللهجات العربية البائدة وعلاقتها بعربية القرآن**، دار الأعلام، ط١، عَمّان، ٢٠٠٣م.

١٤.الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق (ت- ٣٤٠هـ)، **مجالس العلماء**، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ط٢، القاهرة، ١٩٨٣م.

١٥.زيدان، جرجي، **الفلسفة اللغوية**، دار الجيل، ط١، (د.م)، ١٩٨٢م.

١٦.السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ت- ٥٨١هـ)، **نتائج الفكر في النحو**، تحقيق: محمد إبراهيم البنا، دار الاعتصام،(د. ط)، القاهرة، (د.ت).

١٧.سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت- ١٨٠هـ)، **الكتاب**، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ط٢، القاهرة، ١٩٨٨م.

١٨.السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت- ٩١١هـ)، **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع**، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط٢، بيروت، ١٩٩٨م.

١٩.الشنقيطي، أحمد بن الأمين (ت- ١٣٣١هـ)، **الدُّرر اللوامع على همع الهوامع شرح جمع الجوامع**، تحقيق: أحمد السَّيد سيِّد أحمد علي، المكتبة التوفيقية، (د. ط)، القاهرة، (د. ت).

٢٠.عبد الباقي، ضاحي، **لغة تميم دراسة تاريخية وصفية**، الهيئة لشؤون المطابع الأميرية، (د. ط)، القاهرة، ١٩٨٥م.

٢١.علي، حازم كمال الدين، **معجم المشترك السامي في اللغة العربية**، مراجعة وتقديم: رمضان عبد التواب، مطبعة العمرانية للأوفست، (د.ط)، القاهرة، (د.ت).

٢٢.عمايرة، إسماعيل أحمد، خصائص العربية في الأفعال والأسماء:دراسة لغوية مقارنة، ، دار الملاحي،ط١، إربد،١٩٨٧م.

٢٣.الفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت- ١٧٠هـ).

- **الجمل في النحو**، تحقيق: فخر الدين قباوة، مؤسسة الرسالة، ط١، بيروت، ١٩٨٥م.

- **معجم العين**، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ٢٠٠٣م.

٢٣.الكفوي، أيوب موسى الحسيني (ت- ١٠٩٤هـ)، **الكليّات**، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، (د.ط)، دمشق، ١٩٨٢م.

٢٤.ابن كمال باشا، شمس الدين أحمد بن سليمان، **أسرار النحو**، تحقيق: أحمد حسن حامد، دار الفكر، ط٢، عَمّان، ٢٠٠٢م.

٢٥.ابن مالك، جمال الدين محمد بن عبد الله الطائي (ت- ٦٧٢هـ).

_ **شرح الأشموني على ألفية ابن مالك**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، ط١، القاهرة، (د. ت).

_**شرح التسهيل "تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا وطارق فتحي السّيد، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ٢٠٠١م.

٢٦.المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (ت- ٢٨٥هـ)، **المقتضب**، تحقيق: حسن حمد، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٩٩٩م.

٢٧.المخزومي، مهدي، **في النحو العربي قواعد وتطبيق على المنهج العلمي الحديث**، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط١، القاهرة، ١٩٦٦م.

٢٨.مريخ، عادل محاد مسعود، **العربية القديمة ولهجاتها: دراسة مقارنة بين ألفاظ المعجم السبئي وألفاظ لهجات عربية قديمة الجبالية والمهرية**، دار العلوم، (د. ط)، القاهرة، ٢٠٠١م.

٢٩.مطر، عبد العزيز.

_ **لهجة البدو في إقليم ساحل مربوط دراسة لغوية**، دار الكتاب العربي، (د. ط)، القاهرة، ١٣٨٦هـ- ١٩٦٧م.

_ **ظواهر نادرة في لهجات الخليج العربي**، (د.ن)، (د. ط)، (د. م)، ١٩٧٦م.

٣٠.المطلبي، غالب فاضل، **لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة**، وزارة الثقافة، (د. ط)، العراق، (د.ت).

٣١.ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت- ٧١١هـ)، **لسان العرب**، دار الحديث، ط٢، القاهرة، ٢٠٠٣م.

٣٢.نامي، خليل يحيى، **دراسات في اللغة العربية**، دار المعارف،(د. ط)، القاهرة، (د.ت).

٣٣.ابن هشام، أبو محمد جمال الدين بن يوسف (ت- ٧٦١هـ)، **شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، (د. ط) القاهرة، ٢٠٠٤م.

٣٤.ابن يعيش، موفق الدين بن علي بن يعيش الموصلي (ت- ٦٤٣هـ)، **شرح المفصل**، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ٢٠٠١م.

المجلات العلمية:

١- بعلبكي، رمزي منير، **المقايسة في صيغ الضمائر العربية والسامية**، مجلة الأبحاث، الجامعة الأمريكية، بيروت، ع ٢٨، ١٩٨٠م.

٢- الجرح، محمد سالم، **نظرة تحليلية مقارنة على الضمائر العربية**، مجلة مجمع اللغة العربية، ع٢٢، عمان، ١٩٦٧م.

٣- الشايب، فوزي حسن، **ضمائر الغيبة أصولها وتطورها**، حوليات كلية الآداب، الحولية الثامنة، ع٤٦، جامعة الكويت، الكويت، ١٩٨٧م.

٤- فاضل، عبد الحق، **أسرار الضمائر**، مجلة اللسان العربي، ع٤، الرباط، ١٩٦٧م.

الرسائل العلمية:

٥- أبو موسى، محمود حمّاد محمود، **الضمير وأثره في بناء الجملة العربية وتركيبها**، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، إربد، ١٩٩٥م.